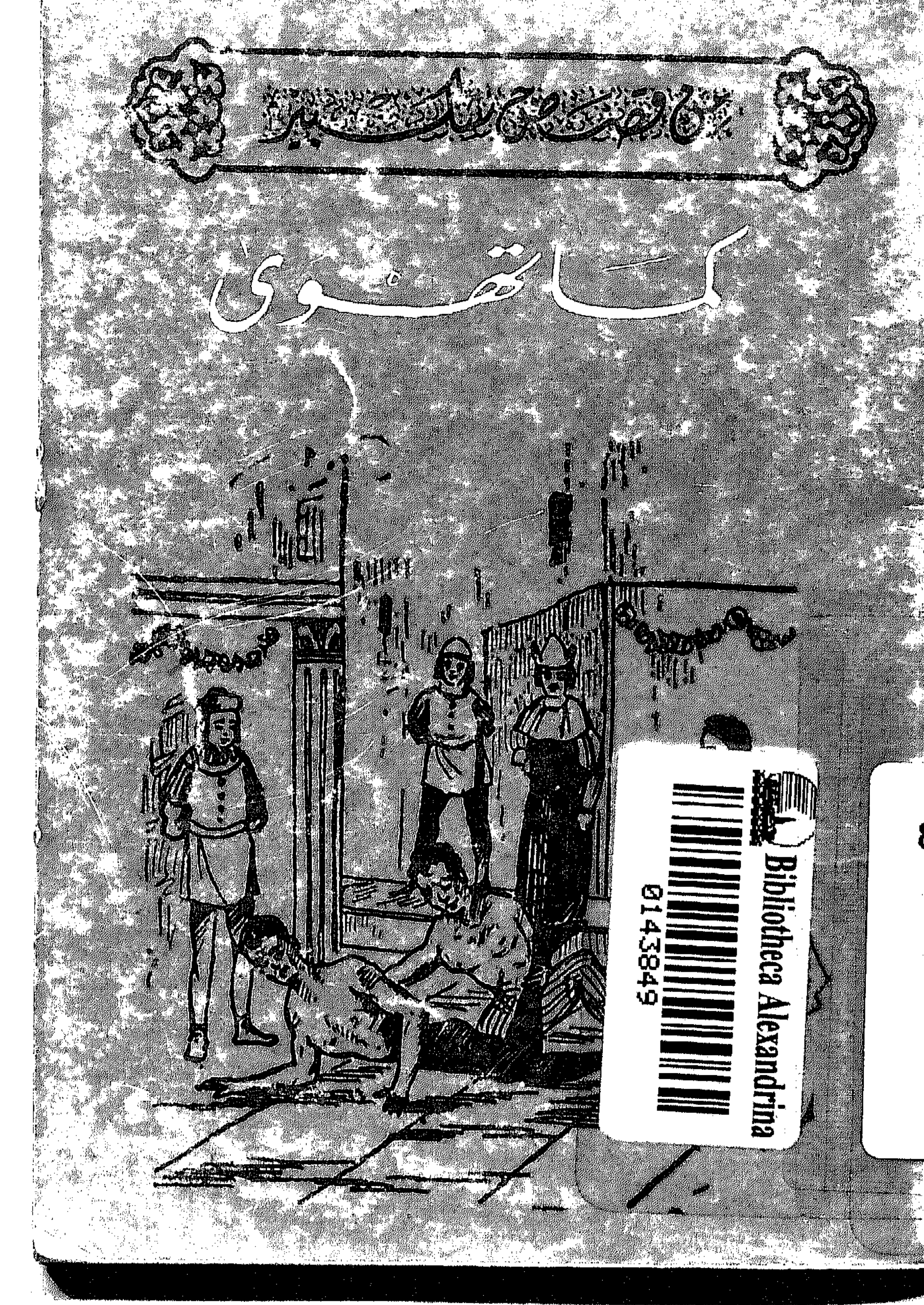
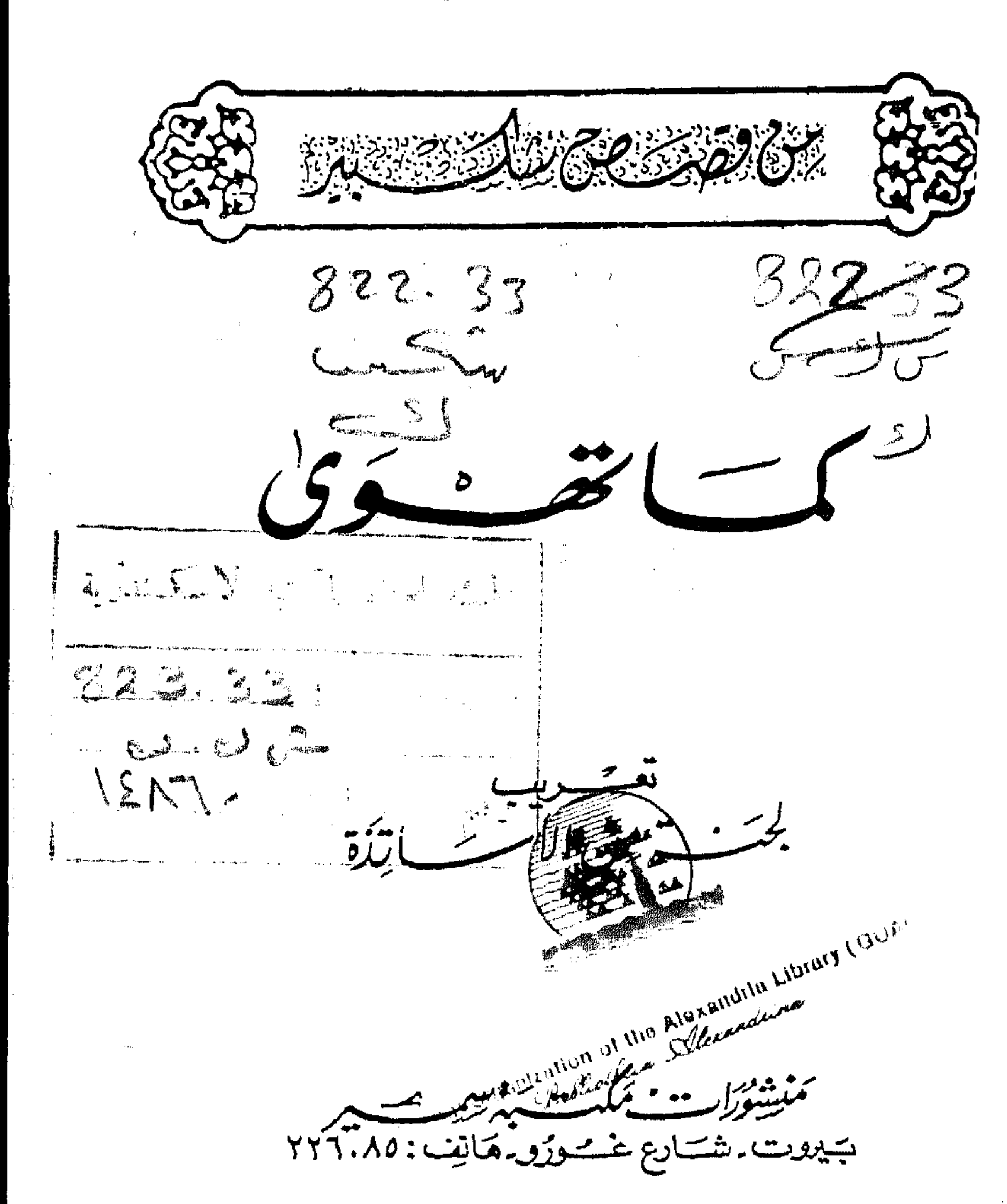

من قصص شكسبير
كما تهوى



من قصص شكسبير

كما تهوى

تعريب

لجنة من الأساتذة

منشورات مكتبة سمير

بيروت - شارع غورو - هاتف : ٢٢٦٠٨٥

وليم شكسبير

– حياته –

ولد وليم شكسبير من أبوين من الطبقة الوسطى في ستراتفورد ـ آفون . وهي مدينة تجارية على بعض أهمية ، وكان مولده بين الرابع والعشرين من نيسان ١٥٦٣ او الثالث والعشرين منه ١٥٦٤ . وكان والداه مواطنين من واروكشير . إنّ اباه جان شكسبير الذي كان عمله الرئيسي صناعة القفازات ـ الكفوف ـ تقدّم في حياته المدنية وصار عمدة بلدته في سنة ١٥٦٥ ثمّ صار شريف مقاطعة سنة ١٥٦٨ لكنّ الحظّ لم يحالفه طويلاً فما لبث أن تأخرت أحواله . وأمّه هي ماري آردن .

تلقّى شكسبير علمه في مدرسة الملك ادوارد السادس ـ

ستراتفورد ؛ حيث لا بُدَّ أنه أخذ نصيباً وافياً من اللاتينية ؛ وقد يكون تعلّمَ النزر من اليونانية أيضاً ، في سنة ١٥٨٢ تزوج آن هاثواي ؛ ونصّرت ابنته الاولى سوسنة في نوار ١٥٨٣ وقد تبعها توأمان في شباط ١٥٨٥ هما همنت وجوديت . وتوفيت اليصابات ابنة سوسنة حفيدة الشاعر ١٦٧٠ وكانت آخر حفيدة من سلالته مباشرة .

ليس لدينا معلومات ثابتة عن حياة شكسبير في الفترة الواقعة بين ١٥٨٤ و ١٥٩٢ . غير أن هنالك رواية تقول انه اقدم على سرقة غزال من حديقة السيد ت. لوسي شارلكوت . نحن نعلم ان شكسبير كان في لندن في تلك السنة لكن في ذلك الوقت الذي غشي فيه ذلك المكان . ولكنَّ شكسبير في تلك الفترة من الزمن راح يختزن

المعارف المتنوعة ويجتني من الخبرة الحظ الوافر فوقعنا على هذه الثمار الناضجة في رواياته .

يؤخذ من أقوال العاكفين على دراسة حياة شكسبير أنه كان قد برز منافساً شديد المراس لأهل الحذق من الجامعيين نظير : مارلو ، وبيل ، وناش ، ولودج في ايلول من سنة ١٥٩٢ . وفي السنين التي أغلق فيها المسرح لانتشار وباء الطاعون ، انصرف شكسبير الى نظم أشعاره في فينوس وأدونيس (١٥٩٣) ولوفريس (١٥٩٤) . وقد أهدى هاتين المنظومتين الى ارل سوثمتون .

في أذار سنة ١٥٩٥ صار شكسبيراً مشاركاً في فرقة اللورد تشمبرلن التمثيلية وتقاسم هو وفرقة الادميرال ادارة مسرح لندن من سنة ١٥٩٤ الى ١٦٠٣ . ولهذه

الفرقة التي أصبحت فرقة الملك ، تبين أن شكسبير خصها برواياته التي انكبَّ على تأليفها حتى آخر سيرته في الكتابة . وبعد سنة ١٥٩٩ غدت معظم رواياته تُمثل على « المسرح الكروي . »

أمّا مقطوعاته الشعرية فالراجح أنه نظمها بين سنة ٩٥١٥ وسنة ١٦٠٠ ، لكنها لم تنشر الا في سنة ١٦٠٩ .

في سنة ١٥٩٦ حصل شكسبير على اجازة سلاح ؛ وفي سنة ١٥٩٧ اشترى مقاماً جديداً ، بيتاً متيناً وحديقة في ستراتفورد ، لكن ظل مقيماً في لندن حتى سنة ١٥٩٩ و ١٦٠٤ .

وكان شكسبير هو نفسه يظهر ممثلاً على المسرح قبل سنة ١٥٩٨ بصفة خاصة . في نحو سنة ١٦١٠ عاد

شكسبير الى ستراتفورد . ولم يكتب شيئاً بعد عام ١٦١٣

لم يشترك شكسبير في وظيفـــة حكومية او مـــدنية ومات في ٢٣ نيسان ١٦١٦ . لا ثمـــة سبب أن نرفض الرواية بأنه مات في حُمىً نشأت عن اسرافه في الشراب في ليلة أنس مع صديقيه : درايتون وبن جونسون .

أما أسرته ، فقد انقرضت .

كما تهوى

في قديم الزمــان ، كان في أرض فرنســا ، دوق نبيل طيّب قلب الدهر له ظهر المجن .. فان أخــاه الأصغر استطاع بالحيلة والدهـاء أن ينتزع الدوقية منه ، وينفيه الى مكان بعيد .

كان الدوق المنفيّ انساناً كريم الخلق له عدد وافرٌ من الأتباع والمخلصين وقد آثر اكثرهم أن يرافقــوه الى منفاه ، ويقيموا حيث يقيم . اختاروا الفقر مع الصلاح ، على النعمة مع الشر . والتجأوا جميعاً الى غابة « آردن » مكانٍ طيّب في ناحية معزولة من الدوقية . هناك عاشوا

آمنين على حظٍ وافر من السعادة . لأنهم مـــا لبثوا أن ألفوا البرية الرحبة والهواء الطلق ، ووجدوا في بساطـة العيش راحة لم يكن لهم منها نزر وهم في ظلال الفخامـة والغنى . حتى أتباع الدوق الجديد ، أخذوا يغـــادرون البلاط ليلتقوا هذا الرهط السعيد ، ساكن الغابة ، ويرافقوه ، في الصيد والرياضة .

لقد ألف اولئك المنفيون حـرّ الشمـــس وجليد الشتاء ، ووجدوا في قسوة الطبيعة ألماً ألطـــف من ألم نكران الجميل عند الانسان .

فالشمس تحمي من وخز البرد ، وظلال الاغصان في الصيف تحمـــي من أشعـــة الشمس ، وتنعش النفوس بندواتها .

كان بين أعوان ذاك الدوق المنفي في الغابة سيدان ، مخلصان هما أميان وجاك . وان ّ ثانيهما الذي يعرف بجاك الحزين ، كان انساناً حاذقاً ، يعمل الكثير في الترفيه عن الدوق وسائر الرفقة بآرائه الصائبة وأحاديثه البارعة ، كان فيلسوفاً كبيراً ، لكنه كان حادّ اللسان ساخراً .

مع أن كثيرين من أصدقاء الدوق المخلصين رافقوه في منفاه ، فان ابنته الوحيـــدة روزالند لم تنضمّ الى جماعته .

وما ذلك الا ّلأنّ عمّها فريدريك ، الدوق المغتصب احتفظ بها لتبقى رفيقة لابنته سيليا . فقد تحابت الفتاتان لا تفترقان ، وكان في صـــداقة سيليا شيء من العـــزاء لروزالند في بعدها عن أبيها . لكنها غالباً ما كانت تبدو

كئيبة ، لأنها لا تنقطع عن التفكير في مصير والدهـا . فكانت سيليا تبذل جهدها لتدخل الى قلبها العزاء .

في ذات يوم ، وقع أمر بَدّل كثيراً في حيـاة هاتين الصديقتين . في تلك الأيام كانت الرياضة بمختلف أنواعها مألوفة في بلاطات الأمراء يلـهو بمشاهدتها أهل البـلاط والضيوف في وقت معاً . وكانت المصارعـة أحـبّ تلك الرياضة عندهم واكثرها رواجاً .

اتفق أن قصد بلاط الدوق فردريك مصارع مشهور يدعى شارل لم يغلب مرة في صراع . ومن شواهد قوته وبراعته في هذا الفن أنّه انتصر على ثلاث مصارعين في دورة واحدة وكاد يقضي على أحدهم .

فارسل الدوق فردريك الى روزالند وسيليا أحد حجابه يعلمها بمجيء هذا البطل العظيم ، واصفا لهما ما أبدى من قوة وبراعة .

فارتاعتا لانهما توقعتا أن تشهدا منظراً قاسياً مخيفاً يمثّل امامها . وكان الدوق قد أخبرهما بواسطة رسوله أن الصراع هذه المرة سيجري في دارتها بين بطله الجبار وبين فتى في مطلع الشباب اندفع لمنازلته بعدما تكبّر وتجبّر . وراحتا تتساءلان ماذا سيحل بالفتى وما زال طري العود غير مجرب ! ...

قال لهما الدوق وهو يبتسم مسروراً ، لقد حاولت اقناعه بان لا يعرض نفسه لهذا الخطر ، ولكنه أبى الا أن ينازل المصارع الجبار ، جربا حظكما معه لعلكما

تستطيعان التأثير عليه ، فيقلع عن عنــاده ، وينجوَ من خطر الموت .

وهكذا ، دعت روزالند وسيليا الشاب اليهـــما وراحتا تتحدّثان اليه وتحاولان اقناعه بالعدول عن خطته .

فأبى الشاب أن يلين لرجائها واجاب قائلاً :

« اني شاب وحيد في هذه الدنيا فلا شأن لموتي اذ لا أقرباء لي ولا أصدقاء . فاذا ما غُلبت فعار الهزيمة يقع عليّ وحدي . حسبي أن تتمنيا لي حسن العــاقبة في هذه المباراة . »

فقالت روزالند ، « أتمنى لو أضفت ما عندي من

قوة صغيرة الى قوتك ! » وعلى الأثر تباعد الفتى عنهما وبدأ الصراع .

كان هذا الشاب النضر الغريب يُدعى أورلندو ، وكان ابوه رجلاً نبيلاً مقرّباً من الدوق المنفي . ومات الوالد واورلندو لا يزال صبياً تركه أبوه في عهدة أخيه الأكبر اوليفر العاق . ومع أن والد اورلندو كان قد أوصى اوليفر أن يبذل عنايته بأخيه ويأخذ على نفسه ان يكون له أباً يمهّد له سبيل العلم والمعرفة ، فان اوليفر نبذَ وصية أبيه وأساء معاملة أخيه فما أرسله الى مدرسة ولا جاءه بمن يعلمه في البيت .

مع هذا الاهمال الذي لقيه من أخيه شبّ اورلندو فتى جميلاً طيباً وارثاً صفات أبيه ، فأحبه الناسُ وامتدحوه

فما كان من اوليفر الا أن أبغضه وحسده .

وطار الخبر الى اوليفر بأن أخاه مقبل على منازلة ذلك المصارع الجبار . وهو بدلاً من أن يكون موضع تهيّب في نفس المصارع ، فلا يقسو هذا على أخيه خوفاً من غضبه ، تقدم من ذاك البطل العظيم وقال له : اعترف لك بأسف ، بأن أخي اورلندو هذا فتى لا فائدة فيه ، ولا يفتأ ينصب لي المكائد ، ولا يصغي الى نصائحي لكم نصحته أن لا يكلّف نفسه فوق طاقتها ، ويتقدم لمنازلة بطل جبار مثلك ، لكنه ، لعناده واعتداده بنفسه نبذ النصيحة . فما أحبّ إليّ أن يلقى عقابه عن يدك ! فاكسر رقبته قبل أن تكسر أصابعه ، لأنه إن رفقت به ، فلن يلبث ان ينال منك بمكايده ، ولن نأمن على حياتك من غدره . اني اعترف لك بهذه الحقيقة والخجل

يأكل قلبي ، إن فتى كهذا لا يستحق لما في نفسه من الغدر واللؤم أن يكون في الحياة . »

لمّا سمع المصارع هذا البيان من أورلندو أرخى لنفسه العنان وقرر أن ينتزع من نفسه كلّ أثر للرحمة والرفق بالفتى الطري العود .

ومال اوليفر نحو أخيه وشجعه على منازلة المصارع الكبير . فاجاب اورلندو بأن لا يهتم لأمره اذا ما قتل في هذا الصراع او غلب .

غير أن روزالند ، بعدما رأت آثار تعاسته أدركتها شفقة عليه ، ولمّا تقدم ليبدأ الصراع ، كانت تتمنى له النجاح بكل ما في قلبها من حرارة .

لا أدري ! أكانت نجدُتة من قوته الطبيعية وبراعته في المصارعة ، او كانت من ريح الفتاتين اللتين أثارتا فيه الحمية ، فقد استطاع اورلندو الفتى أن يصرع خصمه من اول جولة . وانتظر أن ينهض المصارع الجبار ليستأنفا الصراع في الجولة الثانية . لكن المصارع الضخم غلب على أمره فما قدر على حركة ولا كلام .

عندئذ أعلن الدوق نهاية المباراة . ومال نحو اورلندو وسأله من هو . فلمّا قال له اورلندو ما اسم أبيه ، امتلأ قلبه غيظاً . لأنّ أباه كان صديقاً وودوداً للدوق المنفي . وقال له : « كنت أتمنى لو كنت ابناً لغير ذاك الأب . »

وغادر المكان غاضباً لانتصار ابن عدّوه .

لكن روزالند التي أحبت الفتى الباسل ذا الروح السامية ، لاول نظـرة ، اغتبطت لمـّـا عرفت أنه ابن صديق أبيها . وزاد في حبها له ذلك البؤس الذي يعانيه في حياته الخاصة ، ففي نفسها أحزان كما في نفسه ، فلا عجب أن تقوى المحبة بهذا التعاطف وتشابه الحال . فصعدت اليه وبيدها قلادة من ذهب . ولمّا ركع امامها طوقت بها عنقه قائلة : « ايّها الفتى الشهم ! البس هذة القلادة اكراماً لي — ورمزاً لما اتمناه لك من التوفيق . انت جدير بأثمن منها لكني أقدم ما وصلت اليه يدي . »

لم يكن اورلندو قد شعر في ما مضى من حياته بغير نزر من العطف ، أمّا اليوم ، وقد غمره هذا الشعور من روزالند ، فرأى نفسه أسير شعورها وأسير جمالها فأحبّها حتى أعماق قلبه . ولكنه وقد أنذر بأن الدوق

القوي فردريك هو عدّوه وجد أن لا أمان على حياتـه في البقاء بل غادر البلاط حالاً .

فحزنت روزالند كثيراً لذهابه ، وغلبها وجوم ، مع ما كانت تبذل سيليا من الجهد لتسليتها . ولم يكن وجود روزالند في ذلك الوقت ممّا يرتاح له الدوق . لأن الناس أكثروا من الثناء على أخلاقها وجمالها وفضيلتهـا . والى ذلك يعطفون عليهـا بالنظر لحالة أبيهـا . وزاد في غضب الدوق انتصار اورلندو ابن عدوه ، ولا يبعد أن يظن بأن روزالند وقعت في حب الفتى ، وخشي ايضـا ان يحتفظ في بلاطه بقوم مـوالين ومخلصين لأخيه الدوق المنفي .

بينما سيليا وروزالند تتحـدثان في شـأن أورلندو

دخل الدوق فردريك بذاته الى الغرفة ، وأمـــر روزالند أن تغادر البلاط في الحال وتوعدها قائلاً :

« الموتُ لك اذا ما ابصرتك ، في مـدة عشرة أيام ، تقتربين من بلاطنا مسافة عشرين ميلاً . »

فسألته روزالند وهي ترتعد من جزع : « مـــا الذنب الذي جنيتُه حتى تعاقبني هذا العقاب ؟ »

فرد محتدماً غيظاً :

« حسبُك انك ابنة أبيك ! »

وعبثاً حاولت سيليا أن تدافع عنهـا وتتوسل في أمرها . فكأنها تحدث صخراً قاسياً ؛ بل كرر حكمـــه

بقساوة وغادر الغرفة .

وكانت سيليا وثيقة الالفة لابنة عمّها ، فلم تستطع ان تتركها تمضي الى المنفى وحيدة .

من عهد الحداثة الباكر لم تفترقا يوماً من الايام ، فكيف تتحمّل فراق روزالند بغتةً ، على هـــذا النحو السريع ؟ فقــالت لها : « في حكمــه عليك بالنفي يا عزيزتي ، قد حكم عليَّ أنا ايضاً ، لا استطيـع ان ادعك تقاسين الاحزان وحدَك ، وانا براء منهــا . قولي مـــا تشائين ، اني ذاهبة معك . »

وهكذا أقنعت روزالند أن تبقى بصحبتها . ولمّا اعملا عقلهما في واقعهما خطر لسيليا ما يحسن أن تصنعـــا

لكي تتمكنا أن تصلا بأسرع ما يمكن الى مكان الدوق المنفي ، والد روزالند . أمّا أن تسافرا في الأرياف وهما في لباس الغنى فأمر يعرضها للخطر . فاقترحت سيليا أن تتخفى هي وابنة عمّها في زي الفقراء ، بعد أن تصبغا بشرتها بلون أسمر قاتم لئلا تظهر عليها آثار النعمة ، وهكذا لا تلفتان الأنظار ، وتبلغان الغابة بأمان . واقترحت روزالند أيضاً بأن تتزيا احداهما بزي رجل ، وانها هي أصلح لهذه الغاية لأنها أطول قامة من سيليا .

وهكذا ؛ قرّ الرأي أن تتنكرا بالزي القروي ، فما هما غير اخ واخت مسافرين في الريف . واستكمالاً لهذا التنكر قررتا اتخاذ اسمين جديدين . فكان على روزالند أن تحمل اسم غانيميد وعلى سيليا أن تتسمى باسم اليانا .

ويعدما تمت الاستعدادات الموصوفة ، جمعتا ما عندهما من حلي ونقود وغادرتا البلاط دون أن يعلم بهما أحد .

فيما كانت روزالند وسيليا تستعدان للفرار من الدوق فردريك كان أورلندو أيضاً على أهبة الابتعاد عن أخيه اوليفر . وذلك أنه لمّا كان عائداً من حلبة الصراع منتصراً ، التقاه خادم أمين يدعى آدم ونصحه بأن يغادر داره في الحال . لأنّ أخاه امتلأ من الغضب بفوزه على خصمه ، وقد وطد العزم على احراق الغرفة التي ينام فيها اورلندو ليتخلص منه . وان أخفقت هذه المكيدة فانه عازم على اختراع أية وسيلة للقضاء عليه . لأن الصيت الحسن الذي انطلق بسرعة على أثر انتصار اورلندو لم يبقِ في قلب أخيه غير الحسد والبغض ، فقد أقسم لا

يدخلن الدار حتى يدخل اورلندو الى القبر .

فاجابه أورلندو قائلاً : « إلى أين تراني أتوجه يا آدم ؟ ولا مال معي ؛ وليس باستطاعتي أن أتسـول في الدروب ، أو أتعاطى السرقة لأعيش ؟ »

ردّ الخادم العجوز على الفور :

« في أثناء خدمتي لوالدك ، استطعت أن أدّخر خمس مئة ذهبية ، أضعها بين يدك بكـل سرور ، على أن تصحبني معك كخادم لك . لأني وان كنت تراني قد علاني الكبر ، فان يديّ ورجليّ لا تزال تفيدني في تأدية خدمة لنفسي ولغيري

فقبل أرلندو هذه التقدمة بكل امتنان هاتفاً :

« أيّها الشيخ الطيّب ! ما أصلحك لهذه الاوقات التي نرى فيها الناس لا يهتمون الاّ بنفوسهم ! »

هكذا مضى الخادم الأمين وسيده المحبوب هائمين على وجهيهما معاً ، حتى تقاذفت بهما الاسفار الى غابة آردن ، حيث كان الدوق المنفي وأتباعه ، قد نصبوا المضارب .

في الوقت نفسه كانت الآنستان الشريفتان سيليا وروزالند المتنكرتان بالزي الريفي الفقير قد تناهى بهما التجوّل في جوار تلك الغابة بسلام ، وتبعهما على الأثر توتشستون مضحك البلاط . لكن أين الفنادق وأين الحوانيت

في تلك البرية المتوحشة النائية ؟ فلا ملجأ ولا مطعم ؟ بعد سير مجهد وتجوّل طويل أثّر الجوع والتعب فيهما . وشعرت روزالند انها بحاجة الى البكاء . ثمّ تذكرت أنها ليست الآن روزالند الفتاة الحساسة الناعمة ، بل أصبحت غانيميد الرجل . فبدلاً من أن تترك دموعها تجري أخذت تشجع سيليا وقد تهالكت من الجوع والتعب .

أخيراً ساقت لهم المقادير اثنين من الرعيان ، فتقدمت روزالند وخاطبتهما قائلة :

« هذه الفتاة التي معي يكاد يُغمى عليها من الجوع والتعب . فهل لكما ان تتكرما بارشادنا الى حيث يمكننا أن نجد طعاماً وملجأً ؟ اننا نحمل نقوداً ومستعدان لدفع الاجرة والثمن . »

أجاب الراعي متلاطفاً :

« أخشى أني لا أتمكن من انجادكما بكل ما تحتاجان اليه . لأن الخراف التي تريان ليست لي . اني اشتغل بصفة أجير عند صاحب القطيع وهو الآن يسعى لبيع الخراف والكوخ الذي اسكن فيه . »

فقالت له روزالند :

« ما دام الأمر كذلك فنحن على استعداد لندفع ثمن الكوخ والخراف ، والمرعى ، وان ندفع لك اجرتك كذلك ، اذا شئت أن تبقى مع القطيع وتقوم على رعايته لنا . »

عندئذ ، جاء الراعي — وكان اسمه كورن —

بالطعام وما قدر عليه من المأوى . ثم ابتاعتا الكوخ ، وصار مسكنهما الموقت . وراحتا تفكران ، بعد استعادة قوتهما ، في البحث عن المكان الذي يقيم فيه الدوق .

مع ما قاست روزالند في تلك المغامرة من مشقة لم تنس أورلندو في لحظة واحدة من اويقات الشقاء والخطر ، أو الراحة والأمان ، فقد تأكّد لها أنها تحبه وراحت تتساءل في ذاتها هل تسوقه اليها المقادير فيكون لقاء ؟ لم يكن يخطر لها أن أورلندو ، بات مثلها شريداً ، خلّى داره ، وراح يطلب الأمان في مستقر آخر . لم تكن تدري أن الاسفار تقاذفت به وبآدم خادمه الأمين ، الى الغابة نفسها التي انتهت هي اليها .

ولمّا انتهى اورلندو وآدم الى الغابة ، كان شأنهما

شأن روزالند وسيليا ، فلا طعام ولا مأوى . بعد سير طويل ، وتجوّل مجهد فقد فيها الخادم العجوز بقايا قوته وكاد يموت من الجوع والتعب . وعندها توسّل الى سيده أن يتركه يموت حيث تناهى ، ويمضي هو الى شأنه ، فلا يكون ، وقد رأى من الحياة حلوها ومرّها ، حجر عثرة في طريقه .

فراح اورلندو يشجعه قائلاً كن رابط الجأش يا آدم ! ولا تنهك قواك بكثرة الكلام . انتظرني في هذه الظلال فترة حتى أعود اليك بطعام »

ثُمَّ ألقاه في رفق على الاوراق اليابسة ، ومضى على الأثر . واتفق أنّ مضارب الدوق المنفي وأتباعه لم تكن بعيدة عن ذلك المكان . وكان اولئك الرجال

جالسين في ظلال الأشجار ، وقد ارسل الدوق واحداً منهم يبحث عن جاك .

وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث ، أقبل جاك في حالة غريبة مرحة ، وهو يقول انه التقى رجلاً مجنوناً في الغابة . ولم يكن هذا المجنون ، غير توتشستون ، مضحك القصر القديم الذي سعى وراء روزالند وسيليا . وهذا النوع من الاشياء كان من شأنه أن يشعر جاك بالسعادة ، فاغتنم الفرصة ؛ ليفسر الأمور على طريقته الخاصة في الحياة . وراح يتحدث عن فائدة اللباس المتعدد الالوان ، في ادخال البهجة على النفوس واثارة الضحك . وكان هذا ما يلبسه المهرجون ، ويردد ؛ اكسوني الالوان المتعددة ودعوني أقل ما أشاء . »

كان جاك يقول هذا مزهواً لمّا أقبل أورلندو ، يفتش عن طعام . فلمّا رأى اورلندو القوم وقد مُدت امامهم أصناف المأكل ، وكاد الدوق يبدأ أكله ، شهر سيفه هاتفاً : « لن تأكلوا ! لن تأكلوا ! حتى تعطوني ممّا تأكلون ! »

فاستقبل الدوق الفتى الجموح بأناة وسأله قائلاً :

« أهو البؤس الذي قادك الى هذا المسلك العنيف ؟ »

ولمّا كشف له أورلندو عن الحقيقة ، أمره الدوق القديم ان يسعى الى آدم ويعود به ، فانهما معاً واجدان حاجتهما من طعام ومأوى .

وعاد جاك يغتنم الفرصة ليدلي بعظته الثانية

مترنماً :

« انما الأرض مسرح ، وما النساء والرجال الذين يعيشون عليها غير ممثلين ، انظروا كيف ان حياة كل انسان رواية من سبعة فصول ، تبدأ في المهد وتنتهي في اللحد . وعلى كلّ امرىء أن يؤدي دورَه أفضل أداء يقدر عليه » ...

وما كاد جاك ينهي دورَه في سرد المواعظ والحكم حتى عاد اورلندو حاملاً آدم العجوز فدعاهما الدوق الى تناول الطعام ، فأكلا حتى شبعا .

ولمّا علم الدوق أن أورلندو هو ابن صديقه القديم سُرّ جدّ السرور ، وبالغ في اكرامه واكرام خادمه

العجوز ، وطلب منهما ان يكونا في جماعته .

والآن نترك اورلندو وخادمه في حمى الدوق وأتباعه ، لنعود الى الآنستين ونتابع حكايتهما :

لم يكن الكوخ الذي صار مسكناً لهما ، بعيداً عن مقر الدوق وأتباعه . ففي ذات يوم ، ولم يكن قد مضى وقت طويل على اقامتهما في الكوخ ، وقعت مفاجأة غريبة . فقد وجدت روزالند اسمها محفوراً بأحرف واضحة على جذع شجرة من أشجار الغابة ، وتحت الاسم وحوله أبيات من شعر رقيق يتغزل بجمالها . فتعجبت من أمر راسمها ، وتحدّثت الى سيليا في هذا الشأن ، فلم تستطع أن تبدي رأياً . وقد زاد الحدث غرابة أنّ روزالند كانت لا تزال متنكرة بزي رجل ريفي ، ولم تُعرف

هناك الا باسم غانيميد . لا بُدّ أن يكون هناك انسان عرفها من قبل ففعل ما فعل ...

وبينما كانتا تتحدثان في الأمر ، ترامى الى سمعهما وقع خطى تقترب ، نحوهما . فتوارت كُلٌّ منهما عن العيان تنظران خلال أغصان الشجر ، فاذا هناك رجلان يتقدمان . ولمّا صارا على كثب عرفت روزالند أحدهما ، وكان هو اورلندو . أما رفيقه فقد أخذ يسخر منه لدأبهِ على كتابة أبيات من الشعر الغزلي بروزالند على جذوع الاشجار .

فخرجت الآنستان من مخبئهما ، وأقبلتا على اورلندو بالتحية . فلم يعرفهما الشاب ، ولم يرَ في روزالند غير فتى من رعاة الماشية .

فحافظت روزالند على تنكرها ، وقدمت له نفسها باسم غانيميد ، وعرضت عليه صداقتها . فَسُرّ اورلندو بصداقة هذا الراعي اللطيف وراح يشكو له حبّة لروزالند لعلّه يجد عنده ما يشفي من ألم الوجد .

هكذا كانت الايام تمر سعيدةً عذبة ، حتى كادت روزالند تنسى أنها قصدت الغابة من أجل لقاء أبيها .

لكنه لقيها ، ذات يوم ، في الغابة ، وهزّته ملامحها ، مع ذلك حسبها فتى من الرعاة فيه الكثير من ملامح ابنته التي فارقها منذ زمن بعيد . فاستوقف مَن ظنها فتى وسأل عن الاسم والنسب .

فلمّا أجابته بأن اسمها غانيميد ، وأنها من اصل

عريق لا يقل شرفاً عن أصله سرّ الدوق من هذا الجواب الجريء . وفكر قليلاً ، واقتنع بأن الأمر لا بُدّ أن يكون كذلك .

على أثر ذاك اللقاء بين روزالنه ووالدها ، وقع لاورلندو حدث غريب . فبينما كان يسير وحده في الغابة اذا به يقف بغتة أمام مشهد غريب ، كان آخر ما يتوقع أن يراه . لقد أبصر أخاه اوليفر القاسي في ثياب رثة ممزقة ووجه شاحب غير حليق ، تحدّثُ حاله ببؤسه وتعاسته .

أبصَره نائماً في ظل شجرة ، وحيّةٌ فتاكة قد التفت على عنقه ، مستعدة للقضاء عليه لاول حركة تبدر منه . فما لمحت الافعى اورلندو ، حتى انحلت عن عنق

النائم وانسابت بسرعة خلال الهشيم . فلاحقهـا اورلندو بنظره ، فاذا به يرى وحشاً مفترساً هائل المنظر ، كانت تلك لبوءة ضارية قد تربصت بالنائم لتثب عليه وتفترسه .

فبرقت في رأس اورلندو فكرة لاغتنام الفرصـــة ليأمن شرّ أخيه الى الأبد ... فلِمَ لا يترك الوحـــش الضاري يقضي عليه ؟ لِمَ ينجده وقد بالغ في الاساءَة اليه وقسا في معاملته وأراد قتله ؟

غير أن أورلندو كان في ُخلقه أنبل من أن يدع أخاه يموت وهو قادر على نجدته ، واشجـع من أن ينشد لنفســه السلامـــة فيهرب من مقاومـــة الوحش المفترس . فانقض على الوحش بحسامه ، وقتله بعد عراك بعدما مزق الوحش ذراعه وأسال دمه .

فايقظ العراك أوليفر ، وكاد لا يصدّق عينيه ، فامامه ، أخوه الذي فرّ من قسوته ومن أذاته يعرض نفسه لخطر الموت لانقاذه .

بكثير من الخجل والندم تقدم من اورلندو شاكراً من اعماق قلبه لأنه أنقذ حياته ، وسأله أن يغفر له ما سلف من اساءته اليه .

فعفا اورلندو عن اساءة أخيه ومنذ ذلك اليوم صار اوليفر يحب أخاه محبّة أخوية صادقة .

هكذا بفعل واحد من الشجاعة والرحمة ، تحوّل بغض اوليفر الى محبة وصارت مكايده للايقاع بأخيه اورلندو خدمات مخلصة .

والحقيقة أن اوليفر ما قصد الغاية الا للقضـــاء على اورلندو . وسبب ذلك أنـّه بعد فوز اورلندو في حلبة الصراع على خصمه الجبار ، عـزم الدوق فردريك على التخلـُّص منه ، لان انتصار ابن عدوه القديم ملأ قلبه بالحقد . ولكن أررلندو استطاع ان ينسل من البـــلاط بسرعة ، قبل أن يأمر الدوق رجـــاله بالقبض عليه . فغضب شديد الغضب لفراره من قبضته فاستدعى اوليفر أخاه مستعلماً . فاجابه اوليفــر بأنه لم يقــع نظره على اورلندو من اليوم الذي جرى فيه الصراع في باحة القصر ولا يعلم من أمره شيئاً .

فاعلن الدوق أنه لا يصدّق هذه الرواية . وامـــر اوليفر أن يسعـــى في طلب أخيه ، ويـأتيه به حَيّاً او ميتا ، فان هو لم يفعل ، يجرد من امـــواله واملاكـــه .

فمضى اوليفر في طلب أخيه خوفاً من تنفيذ هذا الانذار . وبعد مشقات كثيرة انتهى الى الغابة ، وهناك ضلّ الطريق وألقى بنفسه على الثرى مُجهداً خائراً من الجوع ، هناك حيث التقاه أورلندو وغامر بحياته لانقـاذه من اللبوءة المفترسة .

في اليوم ذاته الذي اتفق لاورلندو أن أنقذ حياة أخيه الأكبر من الموت ، كان قد وعـد صـديقه غانيميد ان يلتقيه في وقت الظهيرة قرب الكوخ المعروف . لكن ، نظراً لعراكـه مع اللبوءة لم يتمكن من الوفاء بوعـده . لذلك ، أرسل اوليفر يحمل منديلاً مخضبـاً بالدم الذي نزف من ذراعه ليبرهن عن عذره بالسبب الذي منعـه من الحضور .

وكانت روزالند (غانيميد) تنتظـر مجيئه بشوق ، وقد جزعت لما يكون قد حـدث لاورلندو فلم يأتِ في الموعد المضروب لمّا انتهى اوليفر اليها . فعرّفها الى نفسه أولاً ثمَّ قدّم لها المنديل المخضب بالدم . ومضى يتحدّث لغانيميد (كانت روزالند لا تزال متنكرة بلباس رجـل) بقصة كرم نفس اورلندو وشجـاعته ، وكيف أخـــذه أورلندو الى الدوق الذي أحسن أستقباله ورحب بـــه وكيف غفر له أخوه الأصغر كلَّ مـــا كان من شرّه وقساوته ، وكيف ندم هو غاية الندم على ما كانـ من بغضه لأخيه .

ثمّ عاد يخبرها كيف اكتشف جرح أخيه ، وكيف ضمّد الجرح وأغمي على أخيه من الألم ونزف الدم . ومن

ثمّ كيف أرسله أورلندو بالمنديل مخضباً بدمــــه ، الى الراعي الفتى الذي في لهوه يدعوه باسم روزالند .

لمـّا سمعت روزالند أن هذا دم حبيبها ، ألمّ بهـا اغماء ما اسرعَ ما استيقظت منه ، لتذكرها انها مــا زالت رجلاً ، وراحت تحاول أن تفسر هذا العارض ، بانها تظاهرت بالأغماء ، وبهذا عاد اوليفر الى اورلندو .

ولم يكن اورلنــدو وروزالند الوحيدين في الغـابة جمع الحب بينهما باسلاكه السحرية . فانّ اوليفر أيضــاً أصابته سهام الهوى ، فقد أحبّ سيليا لاوّل نظـرة . ولمـّا سمعت حكاية ندمه ، وثبت لها صدق مقاله مـالت بشعور من الشفقة نما حتّى صار حُباً صحيحاً .

هكذا حمل اوليفر شيئاً كثيراً ليقوله لاورلندو على أثرِ عودته من الكوخ .

قال له : « إنَّ صديقك غانيميد كاد يغمى عليه لمّا أريته المنديل مخضباً بدمك . لقد بدا عليه تأثر عميق لمّا عرف أنك جُرحت . » وانطلق يروي له حكاية حبّه لسيليا ، وكيف بادلته هذا الشعور ، وانهما اتفقا على الزواج ، وعلى العيش في ذلك الكوخ .

وأنهى اوليفر حديثه بقوله :

« أمّا في ما يختص بالاراضي وسائر الموروث عن أبينا ، فاني أتركها جميعاً لك يا عزيزي اورلندو ! »

فلمّا رأى أورلندو صدق حُبّ أخيه لسيليا ،

وافق عليه في الحال وقال : فليكن الغد موعداً لعرسك ولسوف ادعو لك الدوق الكبير وأتباعه وهكذا ، فابدأ أنت واليانا منذ الآن – (كان هذا اسم سيليا بالتنكر) بالاستعداد له .

وعلى الأثـر ، ترك اوليفر أخـاه اورلندو ومضى حاملا الى سيليا الأنباء الطيبة .

فما ابتعد الا قليلا حتى وصلت روزالند . لأنهـا ما كادت تسمع أن حبيبها جرحته اللبوءة ، حتى فارقها التجلد فطارت اليه . فقد فرحت وتهللت لما لم تره قد تأذى كثيراً .

وأخبرها أورلندو عن عرس الغد وأضاف : « اني

سعيد جداً لأن أخي سيتزوج الفتاة التي يحب ! لكن ، آه ، لو كان لي أن أتزوج بمحبوبتي روزالند ! »

لمّا سمعته يقول هذا القول ، خطر لها أن الوقت قد حان لتتحرر من تنكرها بشخص غانيميد . فقالت له :

« اذا كنت عازماً على الزواج بروزالند في غد ، فغداً تظهر لك روزالند بذاتها ؛ وسيكون لك ما تريد ، صدقني ! اني قادر على اظهار روزالند . لأني ، وانا في الثالثة من عمري عشت مع أحد السحرة ، وبواسطة السحر أقدر على ما وعدتك به . » وبدا ان أورلندو قد صدق ما تقول . فاضافت روزالند (غانيميد) : البس افضل ما عندك من ثياب ، وادعُ اصدقاءك . لأنك ان كنت راغباً في الزواج غداً ، فسيكون لك ما تريد ،

وروزالند ستكون العروس . »

في غد ذلك اليوم تألّب الجميع للاحتفال بالعرسين معـــاً ، لكن غانيميد ذهـــب مع اورلندو الى الدوق يسألانه ، هل يريد أن يزوج ابنتـــه روزالند لاورلندو ؟

وخاطب غانيميد الدوق قائلاً :

اذا احضرت ابنتك روزالند امامـك الآن ، فهل توافق على زواجها باورلندو ؟

اجاب الدوق على الفور :

لو كان لي ملك لتنازلت عنه لها كذلك .

ثمّ سأل غانيميد اورلندو : هل تريـــد الزواج

بروزالند اذا احضرتها في هذا المكان ؟

اجاب اورلندو : اذا كان لي ذلـك شعــرت باني ملكت الدنيا باسرها .

حينئذٍ ، انفرد غانيميد واليانا كأنهــما يريدان التبدل بثياب العرس . فالقى غانيميد عنه ثوب الرجــل المستعار ، وعاد يرتدي لباس روزالند الحقيقية .

واليانا كذلك ، نزعت عنها ثوب الفتاة الريفية ، وعادت سيليا بالذات مظهراً وحقيقة .

ثمّ ظهرت الفتاتان على حقيقتهما لدى جماعة الدوق . وتقدمت روزالند نحو الدوق وقبلته قبلة الابنة لأبيها . ولاورلندو عادت الفتاة التي طالما تشوّق الى رويتها .

فعانق الدوق ابنته ، بكثير من الفرح ، ووافق على زواجها . غاية الفرحة عنده كانت ، انه عاد فرآها

ثمّ رحّبَ بزواج ابنة أخيه سيليا باوليفر .

واحتفلت الغابة بافـــراح عرسين بهجين في وقت معاً ، وتعالت الهتافات والتهاليل .

وبينما القوم لا يزالون منصرفين للافراح ، وصـل رسول يحمل الى الدوق أنباء جديدة .

وقال له :

« ان الدوق الغاصب يعيد اليك دوقيتك . »

ثمّ روى كيف أن الدوق فردريك في حـالة من

الغضب والاضطراب ، لأن كثيرين من رعيته مازالوا على ولائهم للدوق المنفي ، حشد جيشاً ليهاجم أخاه في الغابة . وقد عزم على إعمال السيف فيه وفي أتباعه جميعاً .

فلمّا دخل الغابة ، التقى ناسكاً تقياً فتحدث الناسك اليه طويلاً ، وأخيراً ، تبدل ما في قلبه تبدّلاً كليّاً .

فبدت لفردريك اعماله الشريرة الماضية ، فندم وقرر أن يعيد الدوقية لصاحبها ، وان يتجرد من حطام الدنيا جميعاً ، ويقضي ما تبقى له من العمر في الدير .

وها هو الآن قد بعث لأخيه رسالة ، يتعهد فيها

باعادة دوقيته اليه ، ويتعهد أيضاً بأن يعيد لأتباع أخيه كل أموالهم واملاكهم .

هكذا ، كانت سعيدة نهاية قصة الدوق المنفي ، وما لاقى المحبون من ألم في طريق سعادة القلوب .

كانت سيليا مغتبطة أن تعيد الى روزالند مكانتها ، بوصفها ابنة حاكم البلاد .

أمّا الدوق فلم تكن فرحته صغيرة لأنه قدر أخيراً ، على مكافأة أتباعه المخلصين ، لتحملهم المشقة وتضحياتهم الكبيرة ،

وهكذا ، نتركهم في غمرة سرورهم ، معيّدين راقصين ، وأجراس الاعراس تملأ الدنيا بهجة وحبوراً .

ملاحظات على مسرحية

كما تهوى

الغابة غابة أردن هي **المشهد الاول** من الفصل الاول – حيث الدوق المنفي مع أصدقائه . اغتصب أخوه الأصغر دوقيته . لكن أصدقاءه الاوفياء آثروا التخلي عن حياة البلاط ، عن المدينة لكي يعيشوا في سلام مع دوقهم الطيب . يشعرنا شكسبير بحب الطبيعة وبالأنس اليها ويعرّفنا الى نفوس تنكشف خفاياها عندما يقيض لها انطلاق . وتذيع بالحكمة في وقت التجربة .

ونتنقل الى **المشهد الثاني** : فاذا نحن – تغيّر

المشاهد في الفصل الواحـــد في العصر الاليصاباتي كان مأنوساً ـ في غرفة من بلاط الدوق . روزالند ابنة الدوق حزينة لبعدها عن أبيها قد احتفظ بها الدوق المغتصب لتسلي ابنته سيليا لما بينهما من صدق المودة . فتقبل سيليا على تعزية ابنة عمّها حتى يسرى عنهـــا بعض الشيء .

ـ يتزاحم الآباء على الدنيا والاولاد يتوادون ولا يتفرفون ـ

وننتقل الى **المشهد الثالث** حيـث تجري حلقـــة صراع بين مصارع مجّرب يُدعى شارل وبين فتى نضـر العود كأنه وارد حتفه اذ ينازل جباراً لا يرحم . فلمّا وقعت عينا الفتاتين على المشهد تأثرتا . خصوصاً روزالند . وحاولتا اقناع الفتى الجميل بالانسحاب فاجاب : « لا قيمة لموتي ، ولا لحياتي . ولا أصدقاء ، ولا أحباء لي » وكان

تفاعل وانعطاف . ونشأ حب ، وانتصر الفتى النضر على مصارع الدوق الجبار . وعرف بأنه اورلندو ابن نبيل كان قبل موته صديقاً للدوق الأصيل .

وتوالت المشاهد في المكان نفسه . وتقدمت روزالند وعلقت سلسلة من الذهب في عنق اورلندو مكافأة على انتصاره .

أما الفصل الثاني فتتوالى فيه مشاهد مشاهد تبدأ بثورة الدوق المغتصب على روزالند ابنة أخيه لتشجيعها اورلندو ـ وقد عرفت أنه ابن صديق لأخيه ـ ثورة الحسد حتى الموت . يغوص شكسبير هنا على اعماق النفس الانسانية فيستخرج جوهرَها ، فاذا المحبة والأمانة والوفاء ، تقف في وجه الحسد والبغض والخيانة .

روزالند الى المنفى ــ تفر معها ابنة عمها ابنة الدوق نفسه . تتنكر الأولى بلباس فتى من الرعيان وسيليا بلباس فتاة وتتنكران بالاسم كذلك خوفاً من شرّ يداهمهما .

في اول غابة آردن تأويان الى كوخ الراعي ، ومعهما تشستون ــ مهرج القصر . وتجدان عند الراعي مأكلا وملجأ ــ

وفي مشهد آخر من الغابة نرى اورلندو وقد فرّ من حسد أخيه له ، حسد بين كبار القوم وحسد بين أخوين مات والدهما ، هنا الأكبر اوليفر حسد الأصغر . وبأمر الدوق قصده ليقتله ولم يكن بحاجة الى تحريض على ذلك لأن شهرة اورلندو عُظمت بعد انتصاره . ليس

اورلندو وحده في الغابة . فرّ مع آدم العجوز خادم الدوق الأصيل . اورلندو يساند آدم وقد خار من الجوع والتعب يلقيه الى جذع شجرة « ـ ابق هنا يا شيخي الطيب حتى أعـــود اليك بطعام ـ »

ينقلنا شكسبير بعد هذه الفتره ـ الى مشهد آخر . المهرج يلتقيه جاك فيضمّه الى رهط الدوق فاذا القوم في مرح ومأكل ومشرب على مسرح الأرض بين الأشجـــار . وينقض عليهم اورلندو : « قفوا عن طعامكم ! قفوا عن طعامكم ! إليّ بالطعام » فتلقاه الدوق قائــلا : « الجوع والعادة الفظة انطقت لسانك بهذه القسوة » . وجيء بآدم وانضم الى رهط الدوق الذي تعــاظم . ونطق المهـــرج بحكمة : « انما العالم كله مسرح وما الرجال والنســـاء

عليها الآن ممثلون » .

ينقلنا الفصل الثالث الى مشــاهد في كوخ غانيميد ـ الاسم الجديد لروزالند ـ بينما كانت تتجول ، تجد اسمها على الاشجار ، وأغاني غزلية بجمالها ... فاذا هما تلتقيان اورلندو وتخبره روزالند متنكرة ـ باسم غانيميد وثوبه باسلوب ضاحك ـ عن فتى يكتب اسم فتاة على الأشجــار ويوجه اليها أغاني الغزل . وتنعقد الصداقة من جديــد والفتى جاهل الى مَن يتحــدث . ويتعــرف الدوق الى غانيميد الراعي . وقد رأى فيه ملامح ابنته روزالند . وبقيت متنكرة في الاسم والثوب مع فرحها برؤية والدها .

وهذا مشـهـد ، كيف يمكن أن يمثـل على المسرح لعله بالايماء وبالاشارة الى خارجه ؛ اورلندو في الغابة يقف

فجأة أمام رجل اشقاه التعب استلقى في الظـل ، تلتف أفعى على عنقه . فلمّا رأتـه انحلت وانسلت في الهشيم ، ويحدق فاذا النائم أخـوه . وقد جاء في طلبـه ليقتله . ولبوءة متأهبة للوثوب على النائم . يغلب اورلندو جوهره السامي فينقض على اللبوءة ويقتلها بعدما تتركه دامياً .

هنا يبد أوجه لأاحداث بالتحول الى الايجابية . يظهر ندم اوليفر فيستغفر أخاه . غانيميد ـ روزالند ـ تنتظر قدوم اورلندو على موعد . مشهد رائع في الكوخ يظهر اولیفر يقدم نفسه ويحكي قصتـه المؤثره وقـد تحول من البغض الى المحبة . يكاد يغمى على روزالند من وصف دم اورلندو يسيل وتتمالك لتحتفظ بتنكرهـا ـ جعـل شكسبير هذا التنكر طويل الامد ليكون مفاجأة كبرى .

ولكي لا يحرم الندم الحق من مكافأة والصداقة الحقة أيضاً من أجر ، أوقع شكسبير الحب بين سيليا ـ عطفت على اوليفر ـ واوليفر الذي فتن برقتها وجمالها . وننتقل الى مشهد اوليفر يقص على أخيه حكاية لقائه غانيميد وسيليا وفيها قصة حبه للأخيرة . فيسر ويعد بأن يدعو الدوق لزواجها غداً ـ ويليه مشهد لقاء بين اورلندو وروزالند ـ متنكرة . ويتشوق الى حبيبته روزالند : آه ! « لو كان لي أن أتزوج حبيبتي روزالند ! » فاذا بغانيميد يعد باحضار حبيبته فليمضِ إذن ويستعد للفرح . ثم تظهر بلباسها أمام أبيها واورلندو في وقت معاً . وتتوالى مشاهد الفرح بشائر بندم الدوق الذي حوّله ناسك صالح من شرّاب للدماء الى زاهد بالحياة ؛ وعودة الدوق الأصيل الى بلاطه .

ملاحظات عامة

جعل شكسبير من الطبيعة أحبَّ ملاذ للانسان . هي مضيافة . أشخاصها مضيافون . من شأنها ان تحوّل البغض والحسد فضائل . والتجارب لها فعل السحر في صهر العواطف والسمو بها حتى تتلمس جوهرها الحق .

« كما تهوى » بدأت مأساة وما لبثت ان انساقت في درب خاصة فلم تبق لا ملهاة ولا مأساة بل انها عمل مسرحي طبيعي جذّاب ليس فيه تكلّف . فان **روزالند** التي تنكرت بثياب **غانيميد** ، بقيت الفتاة الرقيقة كاد يغمى لها لمّا أبصرت دماء حبيبها . كذلك **اوليفر** وقد ملأ قلبه الحسد واوغره الدوق المغتصب على أخيه ، لمّا

رأى معاني التضحية بكى ماضيه وعاد الى جوهره

سيليا رقيقة وفية ، أقبلت على التضحية من أجل ابنة عمّها . كان الحب مكافأة لها فاحبت مَن نـــدم ، وطهرت قلبه أشعة العرفان . فكان حبهـا لاوليفر اول طريق الأفراح . وأخيراً ، ما أجمل أن يتحوّل الطمّاع الغاصب المتشوق الى الانتقام الى زاهد يترك الدنيا لأهلها ، لأنه أقبل على لذاتها ولم يرتوِ .

لقد ناغمَ شكسبير بين وقائع الاحداث وسيكولوجية الاشخاص فلم يفتعل ولم يتصنّع لا في تلك ولا في هؤلاء . فجاءت كما تهوى من امتع الروايات قصةً وعملاً وفناً .



